أي مستقبل للمعجمية العربية في ضوء التكنولوجيا الحديثة؟

أ.جوادي مليك

كلية الاداب واللغات والعلوم الانسانية

جامعة الوادي-الجزائر

malikdjouadi@gmail.com

Résumé:

La lexicographie devient une science plus qu'un art, et c'est pour cela qu'on devait prendre conscience de son importance dans le domaine de la linguistique appliquée. notamment ainsi que les dictionnaires deviennent plus importants avec l'application de la nouvelle technologie par ces différents aspects. Dans le monde arabe, l'investissement de cette dernière dans le domaine du lexique est indispensable, pour que les produits lexicographiques ne perdent pas leur brillance et leur efficacité. C'est ce que cette article prend pour sujet.

ملخص

السؤال الذي تطرحه هذه المقالة يرتبط بالمكانة التي يتبوأها المعجم والمعجمية في الوقت الراهن، خصوصا بعد طغيان المعلوماتية ووسائل التكنولوجيا الحديثة عموما. إننا لن نناقش الشكل الجديد للمعاجم وطرائق إخراجها وتقنيات صناعتها فقط، فتلك أمور ضرورية، والأخذ بها من مستلزمات المعاصرة والمشاركة في بناء مجتمع جديد، بل سنناقش بالإضافة إلى ذلك مستويات معالجة المادة اللغوية داخل المعجم بكافة أشكاله – ورقية كانت أم إلكترونية-

فكيف السبيل إذن إلى التوفيق بين الشكلين مما من شأنه يخدم معجمنا العربي، ويفيد أجيالنا العربية، ويبوّأ بالتالي لغتنا العربية المكانة اللائقة بها في زمن العولمة؟ هذا ما تحاول هذه المقالة الإجابة عنه.

يشهد العالم اليوم تطورا كبيرا على شتى الأصعدة، بما في ذلك الصعيد اللغوي، كون اللغة مؤشرا هاما على التقدم الحضاري من جهة، وكونها من جهة أخرى المحور الذي تدور في فلكه سائر العلوم والمعارف والإنجازات البشرية، وتهتدي بهداه، فكلنا يعلم أنه لولا اللغة لما تمكّن البشر من التواصل فيما بينهم، ولعجزوا من ثمة عن إتمام مسيرة الركب الحضاري نحو مستقبل أفضل.

ولأن اللغة العربية بشرفها بين اللغات تحكم وحدة أمتنا، وتوجهها الوجهة التي تتبوّأ بها المكانة اللائقة بها بين الأمم، فقد حظيت الدراسات اللغوية – وما زالت تحظى – بشتى أنواعها وصنوفها باهتمام بالغ الأهمية، وإقبالا غير متناه من الدارسين، ممّا تعجز الكثير من لغات العالم اليوم عن الإتيان بمثله، ذلك أن اللغة العربية تستمدّ قدسيتها وقوتها العلمية والعملية من النص الديني بشقّيه القرآن والحديث، كونهما أعلى مراتب الفصاحة فيها، لذا نهض عدد لا بأس به من علماء

الأمة لحماية التراث والذود عنه، وحفظه في خزائن تليق بنفائسه ودرره، هذه الخزائن ليست سوى المعاجم التي ضمنت منذ القرن الهجري الثاني – وإرهاصات أخرى قبله مهّدت لظهور المعجم– استمرارا وحياة دائمة للغة العربية بمفرداتها وتراكيبها، " فالمعاجم اللغوية هي خزائن اللغة وكنوزها التي يستمد منها الإنسان ما يغني حصيلته اللغوية وينمّيها ويجعلها مرنة طيّعة في مجالي الأخذ والعطاء، مجال الاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والنمو العقلي والمعرفي، ومجال التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي"، والمعاجم إذن هي الحجر الأساس للتهذيب اللغوي، فضلا عن كونها فوق ذلك كلّه تمثّل سلطة الحرف المطبوع على نحو أشدّ قوة مما تفعل كل المنتجات المطبوعة الأخرى تقريبا.

فالمعجم عند عربنا القدامى لم يكن مجرد وعاء حافظ للمفردات والكلمات في سياقات مختلفة ومتفرقة، لا تكاد تجمعها جامعة، بل هو نظام لغوي متكامل يحفظ للكلمة صرفها وفصاحتها وصوتها ودلالتها، ليسمو بها بعد ذلك إلى بلاغتها ونحوها في الجملة إذا ما رُكّبت مع غيرها من الكلمات، حيث إن البنية الفونولوجية للكلمة، وخاصة في اللغات الاشتقاقية مثل اللغة العربية قد تتّصل بصورة أو أخرى بوظائفها الصرفية والنحوية والدلالية أيضا. وأما بخصوص ما يقال عن فصل الدرس النحوي عن الدرس المعجمي على اعتبار أن المعجم قائمة من المفردات المفرغة من السياق، والخارجة عن كل تركيب، وأن النحو هو الذي يهتمّ بالعلاقات بين الكلمات، فالأرجح أن هذا القول من باب التوهم لا غير، لذا فنحن لا نسلّم بالقول إن " المعجم ليس نظاما من أنظمة اللغة، فهو لا يشتمل على شبكة من العلاقات... فالمعجم بحكم طابعه والغاية منه ليس إلا قائمة من المفردات التي تسمّي تجارب المجتمع أو تصفها أو تشير إليها".

إلى جانب هذا الأمر، فقد ربط علماء المعاجم قديما هذا الضرب من التأليف بفكرة دينية تتمثل في خدمة القرآن والحديث؛ وذلك بشرح ما غمض مفرداتهما، وتفسير ما تشابه منها دلاليا أو صرفيا أو صوتيا، فلا غرابة أن ينهض بهذه المهمة رهط من علماء الدين ورجالاته، على مدى عشرة قرون أو يزيد (منذ الخليل بن أحمد الفراهيدي – ت 170 هـ – وحتى مرتضى الزبيدي مطلع القرن الثالث عشر – ت 1205 هـ –) وأهمهم في ذلك الزمخشري المعتزلي – ت 538 هـ – في "أساس البلاغة". ولا غرابة أيضا أن نلمح البوادر الأولى للصناعة المعجمية العربية في تآليف غريبي القرآن والحديث، فهما وعلى الرغم من انتمائهما إلى الدرس اللغوي العربي القديم، إلا أنهما لا ينتميان بصفة أكيدة إلى الدرس المعجمي لافتقادهما الكثير من خصوصيات هذا الدرس ومبادئه.

ويلفت انتباهنا أيضا لدى علماء المعاجم العرب القدامى إقبالهم على التصنيف المعجمي بشكل مبدع لا يوحي بالتكرار، ولا نلمس أثرا للتقليد من خلاله. ولئن تعددت المدارس المعجمية، وجمعت بين ضفتيها معاجم ذات صبغة واحدة، فهذا لا يعني بالضرورة استنساخ نموذج معجمي واحد فيها جميعا، بل لتقارب في منهجها أو مادتها لا غير، أما النمط الخاص فقد تفرّد به كل معجم على حدا، من أمثلة ذلك المعاجم القائمة على فكرة الإحصاء كالعين للخليل بن أحمد أو لسان العرب لابن منظور أو القاموس المحيط للفيروز أبادي، أو القائمة على فكرة الدلالة مثل مقاييس اللغة لابن فارس، أو القائمة على الفكرة البلاغية كأساس البلاغة للزمخشري، أو القائمة على فكرة الصحة مثل الصحاح للجوهري أو تهذيب اللغة للأزهري الخ، بالإضافة إلى فكرة التغيير في الترتيب والمنهج عموما.

واستمر التأليف المعجمي العربي يشهد تألّقا وتفرّدا خدمة للدرس اللغوي، ويضمن رقيا أكبر للغة العربية وشرفا بين اللغات، حتى شهد لها أعداؤها بهذا التألق والرقي، يقول هايوود Haywood ( ): " إن العرب في مجال المعجم يحتلون

مكان المركز، سواء في الزمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديم أو الحديث، وبالنسبة للشرق أو الغرب." لقد راح المعجميون القدامى يتبارون في جمع أكبر عدد من المفردات يتباهون به أمام أقرانهم، فكانت العبرة بضخامة المعجم لا بجودة مادته، ومن هنا أيضا راحوا يطلقون على معاجمهم عناوين توحي بالاتّساع والإحاطة والشمول مثل العباب والمحيط والقاموس واللسان الخ، أو توحي بالدقة والتوثيق مثل الصحاح والمحكم والتهذيب الخ. وظلّوا يسيرون على هذا المنوال حتى صارت المعاجم أشبه بالموسوعات الضخمة، تختلط فيها اللغة بالأدب وبالتاريخ والخرافات والأساطير، مما جعل اقتحام هذه المعاجم لا يخلو من متاعب، لا يستطيع من لم يتمرّس بها أن يضل على ضالّته فيها بيسر وسهولة.

ولعلّ مردّ هذا الاتساع في الجمع والتحليل إلى الحرص على توثيق المادة المعجمية شأنهم في ذلك شأن علماء الحديث، عن طريق الرحلة والرواية والمشافهة، " فكثرت الإحالات ومعها الوجوه والاختلافات، وأثقلت المادة بأنواع من الشواهد والدلائل إلى حدّ التخمة، وهذا كله لمزيد من إضفاء المصداقية على هذه الإحالات...فأصحاب المعاجم إذن وهم يقومون باستقصاءاتهم اللغوية واختباراتهم المنهجية وتكثيف الروايات والشواهد، لا يهمهم أن تطول المادة أو تقصر، ولا يعنيهم أن تلتف مسالكها وتتعقد إلى حدّ يجعل اقتحامها من الأمور العسيرة لأنهم لم يكونوا يأخذون بعين الاعتبار جمهور المتعلمين والطلاب، ولم يضعوا نصب أعينهم الكيفية التي يمكن أن يستفيد بها هؤلاء من أعمالهم.. "

وليس معنى هذا أن المعجم العربي قد عرف تقهقرا وتراجعا في العصر الحديث، بل لقد عرفت الساحة اللغوية العربية ظهور كوكبة من معاجم العصر تفي بالغرض وتخدم اللغة إلى حد بعيد، ونمثّل لذلك بمحيط المحيط وقطره للبستاني، والمنجد للويس معلوف، والمرجع للشيخ عبد الله العلايلي، ولاروس لخليل الجر، والمعجم الوسيط للمجمع اللغوي بالقاهرة والمعجم العربي الأساسي للألسكو الخ .

وإن كانت القيمة الفنية للعمل المعجمي قد تقلّصت نوعا ما فهذا تقلّص مسّ كثير من العلوم اللغوية وغير اللغوية نتيجة المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته الأمة وما زالت تشهد بعضه.

ونصل إلى العصر الحالي ونحدّد الفترة على وجه التقريب منذ منتصف القرن العشرين إلى يومنا هذا، أي على مدى ستين سنة مضت، حيث عرف العالم تطورا تكنولوجيا هائلا وانفجارا علميا بفضل المخترعات التقنية القائمة على السرعة والدقة والاقتصاد في الزمان والمكان والجهد، ولعل أهمها التلفاز والحاسب، ولواحقهما من أقراص مضغوطة والطابعات الآلية وشبكات الأنترنت والهواتف الخلوية والبطاقات الممغنطة والأجهزة الرقمية والإرسال الفضائي الخ.

ظهور جميع هذه المخترعات هدّد العديد من علوم العصر، أو العلوم التي كانت سائدة قبله، بما في ذلك علم المعاجم، إذ صار مخيّرا بين أمرين؛ إما أن يحدو حدوها ويقتبس من أثرها ليصعد سلّم الرقي، أو يثبت وجوده على الأقل ضمن هذا الزخم من التكنولوجيات الحديثة، وإما أن يستنكف عنها فلا يلقي لها بال، وأقل أضراره في هذه الحالة هو اضمحلال العمل المعجمي، وربما زواله عن الوجود بفعل المنافسة الشريفة وغير الشريفة على السواء.

فلنناقش إذن الافتراضين معا، قبل أن نحدّد جملة من الحلول نراها مناسبة للواقع المعيش، ولواقع المعجم في الجزائر بصفة خاصة.

إن المعجم العربي يقف اليوم أمام عتبات كثيرة تضعها أمامه التكنولوجيات الحديثة، تسهيلا لمهمته وربطا للوصال بينها وبينه، يستفيد هو من بريقها، وتتألق هي بفضل أهميته وسعيه لخدمة اللغة العربية، وها نحن نرى اليوم جملة من التغييرات التي أخذ بها المعجم العربي تسليما لهيمنة تلك التكنولوجيات في زمن العولمة. هذه التغييرات مسّت المعجم العربي شكلا ومضمونا؛ فأما على مستوى الشكل فلا يخفى على أحدنا موجة القواميس الإلكترونية التي أخذت تغزو أسواقنا، وتلك المطبوعة على هيئة أقراص مضغوطة تبهر قارئها بروعة البحث من خلالها، وبنظامها الداخلي القائم على الترتيب المضبوط والألوان المتّسقة والترجمة الفورية في حال المعجمات الثنائية، فظهرت نتيجة لتطور صناعة المعاجم في العصر الحديث تصنيفات جديدة للمعجمات والقواميس ميّزت بين أنواع عديدة منها، فكان من بينها معاجم للاستعمال البشري مقابل معاجم للترجمة الآلية، ومعاجم ناطقة مسموعة مقابل أخرى مكتوبة مقروءة، ولكل نوع من هذه المعجمات خصائصه ومميزاته التي ينفرد بها.

نضرب مثالا على تلك الأنواع قاموس الوافي الإلكتروني الذي أنتجته شركة "صخر" المصرية، ومعجم "الغني" للدكتور عبد الغني أبي العزم المغربي، فتلك القواميس تقدّم في صورة إلكترونية، وفي شكل معلومات تظهر على شاشة الحاسوب عند طلب المادة من قاعدة البيانات، وذلك بقصد تنويع خدمات البحث، وإتاحة فرصة استخدام المادة لفئات المستخدمين متشعبي التخصصات. وهناك نوع ثان من هذه المعجمات الإلكترونية يقوم على السرعة الفائقة في البحث كما هي الحال عند تنزيل نسخة مضغوطة على هيئة أقراص ذات قوة تخزين ضخمة لمعاجم عربية قديمة مثل "لسان العرب" أو "الصحاح" أو "القاموس المحيط"، وهنا يكمن تألق التكنولوجيات الحديثة بفضل النشاط المعجمي القديم المشار إليه سابقا. ويمكننا تلخيص مفهوم المعاجم الإلكترونية في أنها نتاج تطبيق علم الإلكترونيات، وعلم الحاسوب في مجال الصناعة المعجمية. ويعرّفها أهل الاختصاص بأنها مخزون من المفردات اللغوية المرفقة بمعلومات عنها، ككيفية النطق وأصلها واستعمالاتها ومعانيها وعلاقاتها بغيرها، محفوظ بنظام معين في ذاكرة ذات سعة تخزين كبيرة، ويقوم جهاز آلي بإدارة هذه المعطيات وتدبيرها وفق برنامج محدد سلفا. فقوام هذا النوع من المعاجم إذن هو الحاسوب وما يتصل به من أجهزة تقنية حديثة تعتمد على البرمجة الآلية بتسيير من اللغويين سواء المشتغلين في حقل الترجمة أو في حقل اللسانيات بشكل عام. حيث تحوّل الحروف في لغة الآلة إلى رموز وأشكال هندسية صغيرة تخزّن دلالاتها في ذاكرة الحاسوب ضمن قاعدة بيانات عريضة تتسّع مساحتها وتتفاوت من جهاز لآخر، وعند القيام بإحدى العمليات المعجمية يقوم الحاسوب بعملية استرجاع المعطيات المطلوبة منه بسرعة فائقة من قاعدة البيانات ويحمّلها على شاشة الجهاز للعرض.

وعادة ما تتضمن قاعدة البيانات مع كل مدخل ما يأتي: "نوع الكلمة، الصيغ التصريفية، أشكال النطق، التراكيب، المقابلات باللغة الأجنبية، العبارات الاصطلاحية وترجماتها، المضاد الدلالي والمرادف". كذلك من الممكن إصدار معجم في شكل صوتي من خلال برمجة الحاسب لتحويل الرموز الكتابية إلى كلام مسموع، وبهذا يمكن للمعجم أن يجمع بين الشكلين المقروء والمسموع في وقت واحد، بل من الممكن حينئذ أن يكون الدخول إلى المعلومة من خلال الكلمة المنطوقة، مما يقلّل العبء على الباحث من ناحية ويفيد فاقد البصر من ناحية أخرى.

وبالإضافة إلى القواميس والمعجمات الإلكترونية ها نحن نشهد اليوم تطورا كبيرا مع محركات البحث على شبكة الأنترنت، والتي توفّر خدمات لزبائنها تفوق آلاف المرات تلك الخدمات التي اعتاد المعجم تقديمها لقرّائه على اختلاف نوعه وتعدّد أهدافه.

ولئن تجسّد الاختلاف في المعجم المعاصر المساير للتكنولوجيات الحديثة في اللون والصورة ودقة المقابل والترجمة الفورية وسرعة البحث، وتوفير الجهد والمال والوقت، إلا أن الاختلاف على مستوى المضمون لم يشهد تطورا ذا قيمة، فقد ظلّت الصناعة المعجمية تشهد التعامل نفسه مع المفردة إن على مستوى الشرح وتقديم مختلف الدلالات أو من حيث الأمثلة التوضيحية وترتيب المداخل والمشتقات وغيرها من المكونات المعجمية التي أسّس لها علماء المعاجم قديما، وظلّت محافظة على بريقها حتى بعد ظهور التكنولوجيات الحديثة اليوم.
أما إذا افترضنا انصراف المعجم العربي اليوم عن الأخذ بمنجزات العولمة، والسير قدما في ركب التكنولوجيات الحديثة فلسنا بحاجة إلى البرهان على أنه سوف يفشل لا محالة إذا ما نوى الاستمرار بمفرده. إن المعجم لا حياة له بدون قارئ، والقارئ يبحث عن المعلومة السهلة والسريعة والمباشرة، فإذا ظل المعجم مصمّما على استبعاد الاستعانة بهذه التقنيات فلا غرابة أن يظلّ جسدا هامدا دون روح، وخزانة يعلو مفاتحها الصدأ. فكيف السبيل إلى التوفيق بين الافتراضين بحيث لا يفقد المعجم أهميته ولا قرائه، بأن يستفيد من إفرازات العولمة، ويعمل على تطوير فن صناعته بكل ما يحمله في ثناياه من مكونات من جهة، وبأن يحتفظ بأصالته وهويته مما يجعله مستفيدا من التكنولوجيا، إن على مجال الصناعة المعجمية عموما أو على صعيد الدراسات اللغوية المرافقة للمعجم، ولا يجعله مفيدا لها بتأثر من غير تأثير؟
نحن نقترح جملة من الأمور لعل فيها ما يؤخذ بعين الاعتبار لحل هذا الإشكال وحتى يستعيد المكانة اللائقة به، نذكر منها:
تنمية فعالية المعجم العربي ببيان أهميته والحث على استعماله، " إن أثر المعاجم ومدى فعاليتها في مجال الاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والنمو العقلي والمعرفي، وفي مجال التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي يتوقف بصورة أساسية على نسبة استعمالها ثم على معرفة الفرد بأنواعها وأشكالها ومناهج تصنيف المفردات فيها، وأخيرا على طرق استعمالها وكيفية استغلالها وأوجه الاستفادة منها."

1. صناعة برامج معجمية تعمل وفق التلفاز والحاسب مع مراعاة ما يلي:
- أن يكون البرنامج تعليميا خاصا على التلفاز كيلا يفقد قيمته التعليمية وصبغته التربوية.
- عدم الإسراف في المؤثرات الصوتية والصورية، لأن ذلك من شأنه أن يشتت الذهن، أو يجعله ينصرف نحو تلك المؤثرات على حساب المضمون المعجمي.
- إخضاع البرامج لمراقبة مختصين في مجال اللغويات، وذلك بقصد متابعة ما يتعامل معه الناشئ من مواد ومفقرات تعليمية، وتصحيح ما قد يبدو فيها من أخطاء لغوية، "وتبسيط ما قد يصعب عليه استيعابه وإدراكه من مفاهيم ثقافية أو حضارية.. (هذا مع افتراض أن من يتولى تربية الناشئ ورعايته قادر على القيام بالمهام المذكورة)"
- مراعاة المستويات اللغوية في تلك البرامج، نقصد بها المستوى الصرفي والصوتي والدلالي والمعجمي والنحوي والبلاغي.

2. التنويع في تلك البرامج المعجمية بين الأحادية والثنائية اللغة، العامة منها والخاصة.

3. العمل على توظيف الرصيد المعجمي الموجود في تلك البرامج، حتى لا يظل مستعمل المعجم في هذه الحالة مجرد متلقّ سالب لا غير، وذلك بإشراكه في العملية بالبحث الذاتي عن المفردة أو نطقها – في حال المعجم الصوتي أو المنطوق –
4. الابتعاد عن الترجمة الفورية للبرامج المعجمية الإلكترونية الغربية لابتعادها عن الواقع اللغوي العربي.
5. انتقاء الألفاظ وتقديمها عبر البرامج المذكورة في سياقات وارتباطات ملائمة، وعلى نحو مرحلي تدريجي، تراعى فيه قدرات المستعملين العقلية وقابليتهم على التصور والحفظ والإدراك والفهم.
6. صناعة نسخ إلكترونية للمعاجم العربية المتداولة، لاسيما منه المعاصرة، مع الاحتفاظ بنسخها الورقية الأصلية، "فالمعاجم المدونة العامة الكرى الناجحة اليوم إنما كبرت ونجحت وحققت الانتشار نتيجة عوامل علمية وعملية من أهمها الحوسبة اللسانية."
7. إدماج عدد من المعاجم المنفصلة في معجم إلكتروني واحد، ثم إتاحة الفرصة أمام المستخدمين للوصول إلى ضالتهم من خلال منافذ أو مفاتيح متعددة، كالمجال الدلالي أو جذر الكلمة أو شكلها الكتابي أو وزنها أو مرادفها ، كما يمكن دمج طرق الترتيب المختلفة للمعاجم العربية (الصوتي، الألفبائي، التقفية الخ)
8. في حالة البرامج المعجمية القائمة على نظام منطوق لا بد من اختيار مذيعين أكفاء وذوي مهارة وقدرة على التواصل الجيد مع الجمهور، لأن عدم تمتعهم بالكفاءة اللغوية والصوتية والإلقائية يؤثر سلبا على العمل المعجمي، "ولهذا كان لا بد من انتقاء طائفة ممن يتمتعون بطلاقة فكرية وثقافة لغوية عالية وقدرات متميزة على الإلقاء والأداء الصوتي والنطق السليم.. أي العمل على تقوية مهاراتهم اللغوية وقدراتهم الخطابية."، وحبذا لو تكفّل بتقديم تلك البرامج ناشئة ممن يتمتعون بهارات لغوية وطلاقة في التعبير، لأنهم أقدر على التأثير الجيد في أمثالهم من النشء، ذلك لأن الطفل بطبعه ميّال إلى التقليد والمحاكاة بدافع التحدي والمنافسة أو بدافع الطموح إلى بلوغ من يفوقه في مهارة معينة.
9. الاستعانة في تلك النوعية من البرامج بمؤثرات أخرى مرافقة؛ كالتمثيليات والاستعراضات الفنية بهدف تثبيت المفردات ودلالاتها واستعمالاتها في أذهان المشاهد.
10. الربط بين الملكات اللغوية والتواصلية (الاستماع، التعبير، القراءة، الكتابة) وبين المعجم؛ وذلك بحمل المتابع للبرنامج على أداء بعض المهام المدعمة له، كإعادة مفردة أو تلخيص مضمون مقروء أو مسموع أو إعادة تلاوته أو كتابته، وقد يكون في صورة تمارين وتطبيقات إلكترونية أو تقنية عامة.
11. الإفادة من التكنولوجيات الحديثة في خدمة بيان نطق المفردات اللغوية، وهذه تعدّ من أبرز خصائص العمل المعجمي، من خلال المعجم الصوتي أو المنطوق، وذلك بالتدريب على النطق السليم، خاصة عندما يعسر هذا الأخير، أو يدخل باب الاشتراك اللفظي، أو التقارب في المخارج والأصوات والمدارج.
12. إحداث برامج يشارك فيها القارئ الناشئ؛ وذلك بإتاحة الفرصة أمامه لإبداء وجهة نظره الخاصة فيها يعرض عليه من فن معجمي، " فذلك يهيئ الفرصة لاستخدام ما استفاده خلال مشاهدته من ألفاظ وعناصر لغوية جديدة ويحفزه على استحضارها ويدعوه لممارسة اللغة وإنعاش مخزونه اللفظي بنحو عام، هذا بالإضافة إلى إنعاش مخزونه الفكري."
13. الإفادة من تقنيات الصوت والصورة في الحاسب لجذب القارئ وخلق المجال البصري والحركي الفعّال في العملية التعليمية، وحسن توظيف عناصر التشويق والإبهار من أجل تفاعل أكثر نجاعة مع البرامج المعجمية المطروحة على الجهاز، وضبط طريقة منهجية في تلقين الكلمات وشرحها، هذه المثيرات والحوافز السمعية والبصرية التي تصاحب عملية تعليم اللغة فتجسدها في إطار مرئي جميل أو مسموع مؤثر أو هما معا، تستحثّ

القارئ على المنافسة والتحدي، وتستدرجه فيواصل النشاط من دون سأم أو ملل، " هذا بالإضافة إلى ما توافر له من قدرة على الانتقال والاختيار لما يتناسب مع قابليته الطبيعية الخاصة وإمكاناته المادية والزمانية وما يتلاءم مع حاجاته ويلبّي رغباته."

14. ضرورة أن تعنى المؤسسات التعليمية في الوطن العربي بإدماج التكنولوجيات الحديثة في المجالين التربوي والتعليمي، وربطها بالمواد ذات الصبغة المعجمية، وأن تقيم دورات تدريبية لكيفية استخدام تلك التقنيات لاسيما الحاسب مجانا أو بأسعار مخفّضة، مع التركيز على كيفية استغلاله في مجالات البحث اللغوية، وذلك لزيادة فاعلية الحاسب في تعليم اللغة. حتى نصل لاحقا إلى إشراف هذه المؤسسات على عملية إنتاج برامج الحاسب وإخراجها خدمة لأبناء الوطن.

15. تشجيع الأسرة والمدرسة والمجامع عامة النشء على استغلال التكنولوجيات الحديثة من أجل تعامل أفضل وأسرع مع المواد المعجمية في اللغة العربية.

16. تشجيع الاهتمام العلمي في الوطن العربي بالعمل المعجمي وفق التكنولوجيات الحديثة، وذلك على مستوى المؤسسات اللغوية كالمجامع ومكتب تنسيق التعريب والمجلس الأعلى للغة العربية؛ من ذلك جهود مكتب تنسيق التعريب بالرباط في استخدام تقنيات الحاسب في معالجة المصطلحات العلمية وفي عمليات التعريب والترجمة وتصنيف مجموعات من المفردات اللغوية وتأليف المعاجم الآلية، ومن ذلك أيضا إعداد مواقع على شبكة الإنترنت لخدمة النشاط المعجمي كموقع جمعية المعجمية العربية بتونس، والجمعية المغربية للدراسات المعجمية، وجمعية المترجمين العرب بالمغرب أيضا الخ.

فهذه بعض الجهود العربية المتفرقة التي سعى أصحابها إلى استثمار نتائج الصناعة الحاسوبية في مجال المعجم، غير أنها تظلّ محاولات ضئيلة ينقصها الدعم الفني والمادي والعلمي المتقن. ولعلنا لم ندرك بعد أهمية إنجاز معجم إلكتروني يحمل شروحا لكل مصطلح يظهر للاستعمال، دون اللجوء إلى زاوية انتظار طبعة جديدة من معاجمنا الورقية الكلاسيكية، والتي لا تظهر في الغالب إلا بعد مضي سنوات من العمل، يكون حينها المصطلح الجديد قد بلى، وظهرت من بعده طائفة واسعة من المصطلحات الجديدة.

لقد انتهت بعض الأبحاث والدراسات إلى نقص حادّ في المعاجم الإلكترونية العربية – بل إنها تكاد تكون منعدمة – سواء ما كان منها عاما أو خاصا، وأما ما كان منها ثنائيا متخصصا في مجال واحد فهو مبعثر عبر مواقع الإنترنت، ويصعب إحصاء عدده أو التوصّل إليه بيسر، " فالغريب أن هذه الأعمال الحصرية ناقصة في الدول العربية، على الرغم من أن العمليات الحاسوبية اللازمة لإنتاجها عمليات بسيطة نسبيا، إذ يتطلب ذلك عمل برنامج للترتيب الهجائي لهذه الكلمات يقوم بعمليات المقارنة والتخزين والحصر والطبع ".

كما أن الاقتراحات المذكورة آنفا لا تخلو من مزالق، وتكاد تكون غير محمودة العواقب إن نحن لم نحسن تطبيقها في الجمع بين الميدانين المعجمي والتكنولوجي، ويمكن تلخيص جملة الصعوبات والأخطار التي تتهدد الصناعة المعجمية العربية في حال اتصالها بالتكنولوجيات المعاصرة في النقاط التالية:

1. لغة الحاسب تكون في الغالب لغة أجنبية مما يعسر استخدامها على النشء العربي، بالإضافة إلى انعدام الترجمة الصحيحة غير السليمة أو الخاطئة للنظام الذي يسير وفقه.

2. العامل المادي في اقتناء الحاسب وتسييره وتكليف تصليحه، أو تكليف تعلّم لغته وكيفية استغلاله بالطريقة الملائمة، وكذلك تكاليف الأقراص والبرامج الإلكترونية والولوج إلى شبكة الأنترنت، "لذلك فإن انتشاره ما يزال محدودا نسبيا، محصورا بين الطبقات أو الأوساط الاجتماعية ..التي تتمتع بأوضاع معيشية مشجعة.." وإن كانت الصعوبة المادية للتعامل مع التكنولوجيات الحديثة في الجزائر لا تعرف تلك الدرجة من الحدّة التي تشهدها بعض البلدان العربية نظرا لعوامل اقتصادية معينة. وفي هذا الصدد علت أصوات تنادي بضرورة تنويع طبعات المعاجم الآلية المطروحة في السوق اللغوية، بأن تكون متفاوتة من حيث حجمها ونوعها وجودتها، كي يتسنّى للقارئ اختيار ما يتناسب وقدرته الشرائية.
3. الربح السريع الذي تبغيه بعض الأوساط الإنتاجية لهذا الصنف من التكنولوجيات مما يعود سلبا على القيمة العلمية والفنية للمنتج، سواء أكان هذا المنتج برنامجا أو موقعا إلكترونيا أو قرصا الخ، نظرا لما في تلك العجلة الإنتاجية من أخطاء وهفوات وأغلاط لا تغفر لأصحابها لكثرة ضررها وجنايتها على اللغة العربية.
4. كثرة الإنتاج الإلكتروني الترفيهي من ألعاب وأنظمة للهو والتسالي، وطغيانه على الإنتاج الفكري والثقافي الجاد في الوطن العربي، وفي العالم عموما.
5. الضرر الصحي الذي قد ينجم من الإفراط في استخدام تلك التكنولوجيات، سواء بتأثير الذبذبات وترددات الضوء المتكررة على شاشة الجهاز والتي تعوق وظيفة البصر، أو بتأثير الجلوس لفترات متعاقبة في وضع ثابت، " فقد يعود هذا الجلوس المستقر – إذا طال أمده ولم تتخلله حركات عضلية كافية– بنتائج سلبية على صحة المستخدم مثل السمنة والترهل وركود أو هبوط في الدورة الدموية، مما قد يتسبب في نتائج ومضاعفات خطيرة على الصحة..وعلى شخصية الفرد ونفسيته وعقبه."
6. غلبة المؤثرات البصرية والسمعية عند الإفراط فيها على المضمون المعجمي للبرامج المعدّة وفق التكنولوجيات الحديثة، مما يعمل على تشتيت الذهن وقلة التركيز واستسهال تلك المؤثرات، حتى تصبح أحيانا غاية في حدّ ذاتها لا وسيلة يستعان بها على الإخراج الجيد للبرنامج المعجمي.

نشيد في الأخير بأهمية استغلال التكنولوجيا لتطوير الصناعة المعجمية وضرورة الأخذ بها خاصة على الصعيد المصطلحي كونه هو الآخر يهتم بهذا الباب من العلم، ويستند إليه في أبحاثه ودراساته،؛ إذ أن كل ما يدور في فلك المصطلحية إنما يرمي بظلاله على المعجم من جانب وعلى التقنيات المعاصرة من جانب آخر، فالمصطلح ليس سوى مفردة لغوية لها شروط خاصة تدخل في دائرة الاهتمام المعجمي تماما كغيرها من الكلمات غير الاصطلاحية، بل ويفوقها في الاهتمام نتيجة انتقاله السريع بين لغات العالم ومواكبته للتطور الحاصل فيه، وذلك كله لن يتم دون المرور على المعجم والاحتكام إلى قراراته من جهة، ودون الإبحار في ميدان التغير التكنولوجي المصاحب للاختراعات والاكتشافات العلمية من جهة أخرى.

وعلى العموم لا تتوقف أهمية الاستفادة من نتائج التكنولوجيا اللغوية في مجال المعجمية عند حدود تقديم شرح للمفردة باللغة الأم أو بلغة ثانية، بل تتعداه نحو أهداف أخرى، من بينها:

– صيانة اللغة الأم وتنميتها وتطويرها بما يتناسب مع حاجات المستعملين ومتطلبات العصر.

– تقريب المعارف والعلوم من خلال الربط بين عشرات المعاجم العامة والخاصة المتعددة اللغات.

– توفير المصطلح في جميع العلوم والتخصصات.

– تطوير العمل المعجمي واستثمار النظريات اللسانية في ذلك.

– تيسير الترجمة الآلية.

– تيسير تعليم لغة من اللغات باعتبارها لغة أجنبية.

الخاتمة

فضلا عما سبقت الإشارة إليه من أن المعاجم الإلكترونية تمتاز بإمكانية تحديثها بسرعة وسهولة خاصة في عصر تتسارع فيه التطورات العلمية والتكنولوجية الحديثة، ويمكن الإضافة إليها ما يستجد من مصطلحات بطرائق أسرع بكثير من إضافتها إلى المعاجم الورقية، كما يمكن السماح للمستخدمين بالإسهام في إضافة مداخل جديدة، مما يجعل من الصناعة المعجمية الإلكترونية مجالا حيّا للتفاعل وتطوير المعارف.

الهوامش

[1] د/ أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية (أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها)، سلسلة عالم المعرفة، العدد 212، الكويت، أغسطس 1996. ص 222

[1] فلوريان كولماس: اللغة والاقتصاد، تر: د/أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، العدد 263، الكويت، نوفمبر 2000. ص101

[1] د/حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، 2003. ص32

[1] د/ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط3، 1985. ص39

[1] د/أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1998، ص27

[1] للتوسع في قضية التسمية راجع: د/محمد علي عبد الكريم الرديني: المعجمات العربية – دراسة منهجية-. ص 16-17

[1] د/عباس الصوري: في الممارسة المعجمية للمتن اللغوي، مجلة اللسان العربي، عدد الخامس والأربعون، 1998، منشورات مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب. ص 20

[1] المرجع نفسه. ص21

[1] د/أحمد محمد المعتوق: المرجع السابق. ص224

[1] د/عز الدين البوشيخي: المعاجم الإلكترونية وآفاق تطويرها. ضمن أعمال المؤتمر الرابع في اللغة والترجمة تحت عنوان: الصناعة المعجمية: الواقع والتطلعات، تنظيم مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث وجامعة الشارقة. الشارقة، في 20-21 أفريل 2004. نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://alnokta.arablug.org/terminology/Terminology_Book/Book/213-218.pdf بتاريخ: 2009/10/1 على الساعة :

[1] د/محمود فهمي حجازي: البحث اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط د ت. ص117

[1] د/أحمد مختار عمر: المرجع السابق. ص62

[1] د/ أحمد محمد المعتوق: المرجع السابق. ص222

[1] المرجع نفسه. ص106

[1] المرجع نفسه. ص100

[1] إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1997. ص81

[1] د/أحمد مختار عمر: المرجع السابق. ص62

[1] د/عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الإصلاح، القاهرة – مصر، ط1، 1983. ص26

[1] د/أحمد محمد المعتوق: المرجع السابق. ص107

[1] المرجع نفسه. ص109

[1] راجع مقدمة المعجم العربي الأساسي للألسكو (مؤسسة لاروس 1989). ص9

[1] د/محمود فهمي حجازي: المرجع السابق. ص73

[1] د/أحمد محمد المعتوق: المرجع السابق. ص110

[1] المرجع نفسه. ص112

قائمة المراجع:

1. إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1997.
2. د/ أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية (أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها)، سلسلة عالم المعرفة، العدد 212، الكويت، أغسطس 1996.
3. د/أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1998.

4. د/ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط3، 1985.
5. د/حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، 2003.
6. د/عباس الصوري: في الممارسة المعجمية للمتن اللغوي، مجلة اللسان العربي، عدد الخامس والأربعون، 1998، منشورات مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب.
7. د/عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الإصلاح، القاهرة – مصر، ط1، 1983.
8. د/عز الدين البوشيخي: المعاجم الإلكترونية وآفاق تطويرها. ضمن أعمال المؤتمر الرابع في اللغة والترجمة تحت عنوان: الصناعة المعجمية: الواقع والتطلعات، تنظيم مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث وجامعة الشارقة. الشارقة، في 20–21 أفريل 2004. نقلا عن الموقع الإلكتروني:
http://alnokta.arablug.org/terminology/Terminology_Book/Book/213-218.pdf بتاريخ: 2009/10/1 على الساعة : 10.50
9. فلوريان كولماس: اللغة والاقتصاد، تر: د/أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، العدد 263، الكويت، نوفمبر 2000.
10. د/محمود فهمي حجازي: البحث اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط د ت.